

## كمال الأخلاق في شخصية رسول الله (ص)



عندما يدقق الإنسان في الصفات الحسنة التي يمتلكها الرسول العظيم محمد (ص) يجد أنّه أعظم شخص في آخر سلالة متصلة بالسماء، وهو يعيش في ذاته روح الإنسانية بسماتها الحميدة، وأخلاقها الفاضلة، وبنهجه القرآني في التعامل مع أُمته، كفرد من تلك الأُمة المتولدة في تلك البقعة من الأرض، فیأكل مما يأكلون، ويلبس مما يلبسون، ولم يرى في نفسه يوماً ما إنّه خارج عن هذا الكيان الإنساني المركب من المادة الترابية والروح الإلهية، رغم ما منحه القرآن من خصوصيات ومميزات عالية، فقال تعالى: (وَإِنَّمَا لَعَلَى خُلُقِ عَظِيمٍ) (القلم/ 4). وهي شهادة من الله العلي الأعلى برسوله الحبيب محمد (ص)، ومدلول الخُلق العظيم عند الله لا يدرك مداه أحد من العالمين، وهو ثناء تتجاوز أرجاء الوجود به. ولا يمكن لأحد أن يجعل لها مقاييساً في تحديد مفهوم خُلق الرسول (ص)، وإن روية في أخلاقه السير على لسان أصحابه، إلا أن الكلمة القرآنية الصادرة عن الله العلي المتعال تبقى لها الثقل القيمي بدلالتها من كل شيء آخر. كان النبي (ص) أحكم الناس وأحلّهم وأشجعهم وأعدلهم وأعطفهم وأحسّهم لا يثبت عنده دينار ولا درهم لا يأخذ مما آتاه إلا إلا قوت عame فقط من يسر ما يجد من التمر والشعير ويضع سائر ذلك في سبيل الله ثم يعود إلى قوت عame فيؤثر منه حتى ربما احتاج قبل انتهاء العام إن لم يأته شيء وكان يجلس على الأرض وينام عليها وبخصف النعل ويرقع الثوب ويفتح الباب ويحلب الشاة ويعقل

البعير ويطعن مع الخادم إذا أعيماً ويضع طهوره بالليل بيده ولا يجلس متكتئاً ويخدم في مهنة أهله ويقطع اللحم ولم يتجشأ قط ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن ويأكلها ولا يأكل الصدقة ولا يثبت بصره في وجه أحد يغضب لربّه ولا يغضب لنفسه وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع يأكل ما حضر ولا يرد ما وجد. وكان يجالس الفقراء ويؤاكل المساكين ويناولهم بيده ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم ويتألف أهل الشر بالبر لهم يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على غيرهم إِلَّا بما أمر إِلَّا ولا يحفو على أحد يقبل معذرة المعذر إليه وكان أكثر الناس تبسمًا ما لم ينزل عليه القرآن أو تجر عطة وربما ضحك من غير قهقهة لا يرتفع على عبيده وإمامته في مأكل ولا في ملبس ما شتم أحداً بشتمه ولا لعن امرأة ولا خادمة بلعنة ولا لاموا أحداً إِلَّا قال دعوه لا يأتيه أحد حر أو عبد أو أمّة إِلَّا قام معه في حاجته ولا يحزن بالسيئة السيئة ولكن يغفر ويصفح ببدأ من لقيه بالسلام وإذا لقي مسلماً بدأه بالصافحة وكان لا يقوم ولا يجلس إِلَّا على ذكر إِلَّا وكان لا يجلس أليه أحد وهو يصلی إِلَّا خفف صلاته وأقبل عليه وقال أللّه حاجة وكان يجلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك وكان أكثر ما يجلس مستقبل القبلة وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط له ثوبه و يؤثر الداخـل بالوسادة التي تحته وكان في الرضى الغضب لا يقول إِلَّا حقاً . وما جاء في صفتـه (ص) أزّهـ كان يسأل عن أصحابـه فإنـ كان أحدهـم غائـباً دعاـ له وإنـ كان شاهـداً زارـه وإنـ كان مريضاً عادـه وإذا لقيـه الرجل فصـافـحـهـ لمـ يـنـزعـ يـدـهـ منـ يـدـهـ حتـىـ يـكونـ الرـجـلـ هوـ الـذـيـ يـنـزـعـهاـ وـلاـ يـصـرفـ وجـهـهـ عنـ وجـهـهـ حتـىـ يـكـونـ الرـجـلـ هوـ الـذـيـ يـنـصـرـفـ عنـهـ وـماـ وضعـ أحدـ فـمـهـ فيـ أـذـنـهـ إـلـاـ استـمـرـ صـاغـيـاـ حتـىـ يـفـرـغـ منـ حـدـيـثـهـ وـيـذـهـبـ . وكانـ ضـحـوكـ السنـ أـشـدـ النـاسـ خـشـيـةـ وـخـوفـاـ منـ إـلـاـ وـماـ ضـرـبـ اـمـرـأـ لـهـ وـلاـ خـادـمـاـ يـسـبـقـ حـلـمـهـ غـضـبـهـ وـلاـ تـزـيدـهـ شـدـةـ الجـهـلـ عـلـيـهـ إـلـاـ حـلـمـاـ أـحـسـنـ النـاسـ خـلـقـاـ وـأـرـجـعـهـمـ حـلـمـاـ وـأـعـظـمـهـمـ عـفـواـ أـجـودـ بالـخـيـرـ مـنـ الـرـيـحـ الـمـرـسـلـةـ أـشـعـجـ النـاسـ قـلـبـاـ وـأـشـدـهـمـ بـأـسـاـ ماـ سـئـلـ شـيـئـاـ قـطـ فـقـالـ لـاـ إـذـاـ أـرـادـ أـنـ يـفـعـلـ قـالـ نـعـمـ وـإـذـاـ لـمـ يـرـدـ أـنـ يـفـعـلـ سـكـتـ وـكـانـ إـذـاـ جـاءـ شـهـرـ رـمـضـانـ أـطـلـقـ كـلـ أـسـيـرـ وـأـعـطـيـ كـلـ سـائلـ وـكـانـ أـصـبـ النـاسـ عـلـىـ أـوزـارـ النـاسـ وـإـذـاـ مـشـىـ أـسـعـ لـيـسـ بـالـعـاجـزـ وـلـاـ الـكـسـلـانـ وـمـاـ رـئـيـ يـأـكـلـ مـتـكـئـاـ قـطـ . وـمـاـ جاءـ فيـ وـصـفـهـ (ص) أـزـهـ كانـ حـسـنـ الإـسـفـاءـ إـلـىـ مـحـدـثـهـ لـاـ يـلـوـيـ عـنـ أـحـدـ وـجـهـهـ وـلـاـ يـكـتـفـيـ بـالـاسـتـمـاعـ إـلـىـ مـَنـ يـحدـثـهـ بـلـ يـلـتـفـتـ إـلـيـهـ بـكـلـ جـسـمـهـ وـكـانـ قـلـيلـ الـكـلـامـ كـثـيرـ الـإـنـصـاتـ مـيـالـاـ للـجـدـ مـنـ الـقـوـلـ وـيـضـحـكـ أـحـيـاـنـاـ حتـىـ تـبـدوـ نـوـاجـذـهـ إـذـاـ غـضـبـ لـمـ يـظـهـرـ مـنـ أـثـرـ غـضـبـهـ إـلـاـ نـفـرـةـ عـرـقـ بـيـنـ حـاجـبـيـهـ .